ماذا يريدون هنا؟

شعار: لانستطيع أن نجيز رغبات كل أقلية بناءً على مبدأ التسامح.

(تصريح لبيتر فريش رئيس لجنة حماية الدستور لمجلة دير شبيجل Der Spiegel العدد ٣٦ لعام ١٩٩٧ ص ٦١).

ـ ١ ـ

لقد طُلب مني منذ عدة سنوات مضت أن ألقي محاضرة متحدثاً في الموضوع التالي: «ماذا يريد الإسلام في ألمانيا؟». ولقد كان هذا السؤال كما يقول الأمريكيون «a loaded questuon»: أي أن السؤال نفسه يتضمن الإجابة السلبية.

ولقد تمت مواجهتي بأمرين، أولهما: لا يوجد إسلام هنا

ثانيهما: أن الإسلام لا ينتمي إلى هذا المكان.

أي أن مجمل القول: ليس للإسلام مكان هنا، ولا ينبغي أن يبحث لنفسه عن ذلك؛ لأنه غير مرغوب فيه هنا على الإطلاق.

ولذلك، فالأمر يستحق منا الإشارة إلى التاريخ الطويل للإسلام ولوجوده في أوروبا. وتوضيح أمر هذا الوجود من خلال ذكر المعالم المتبقية الدالة على تقدم فن العمارة الإسلامي في كل من صقلية وإسبانيا والبلقان ووسط آسيا.

فلقد كانت إسبانيا لعقود طويلة إسلامية. عقود تفوق في عددها العقود التي حكمتها فيها الكاثوليكية (استمرت إسبانيا حوالي ثمانية قرون يحكمها المسلمون، أما الكاثوليك فحكموا الأندلس منذ عام ١٤٩٢ فقط، أي خمسة قرون فقط).

يعيش حوالي ٣٠ مليون مسلم في أوروبا، ويعيش ما يقل عن نصف هؤلاء في أوروبا الغربية. وفي موسكو، فيعيش فيها حوالي نصف مليون مسلم ينتمي كثير منهم إلى التتار. أما في الولايات المتحدة وكندا، فيكاد عدد المسلمين يبلغ ثمانية ملايين مسلم.

ولا يستطيع المرء ن يتجاهل وجود البنية الأساسية للمسلمين والدالة على وجودهم، مثل: المساجد والمراكز الثقافية والمدارس والاتحادات ودور النشر والمكتبات والجزارين والمدافن.

إذا أقيمت منارة في كل مكان يجتمع فيها المسلمون لأداء الصلاة، لأصبحت أوروبا أشبه ما تكون بإقليم مسلم إذا ما نظر المرء إليها من فوق. لا شك في الأمر: الإسلام موجود.

فهل يبقى كذلك؟

ليس من المتخيل أبدًا أن يشهد وجود الإسلام في الغرب تراجعًا ما، فلا يمكن إلغاء هجرة العمالة الوافدة من المسلمين إلى أوروبا، ولا وقف هجرة الأكاديميين المسلمين إلى أمريكا الشمالية، ولا تعطيل استجابة الأعداد الغفيرة من الأفروأمريكيين لدعوة الإسلام واعتناقهم إياه.

ولكن من المرجح أكثر أن تتوطد جذور المهاجرين في بلاد المهجر وتتعمق هناك، وهذا ما حدث عندما أصبحت محامية من أصل تركي أصغر أستاذة جامعية في مادتها بإحدى جامعات ألمانيا عام ١٩٩٨، وهذا ما جعل ألمانيا تعهد بتمثيلها في مسابقة الغناء الأوروبية عام ١٩٩٩ إلى فرقة موسيقية تركية من برلين.

ولكن إذا تخيلنا أن يغادر كل المهاجرين المسلمين الغرب، فهل من الممكن أن يختفي الإسلام هناك من جراء ذلك؟ الإجابة هي النفي طبعًا، بالنسبة لدول كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا؛ لأن الجيل الثاني والثالث من المهاجرين قد اكتسب كل حقوق المواطنة في هذه الدول، وهذه الأجيال تقف على أرض صلبة، وقد وطدت جذورها في بلاد المهجر هذه.

أما ألمانيا فتُعَدُّ حالة فريدة في هذا الصدد؛ لأن الأتراك المقيمين هنا، حتى الجيل الثالث منهم، ما يزال شاخص البصر إلى تركيا. ولهذا أسباب كثيرة، فلم يكن الأتراك على دراية باللغة الألمانية عند قدومهم إلى بلد المهجر، على نقيض المغاربة الذين حلوا بفرنسا، والهندوباكستانيين الذي استوطنوا إنجلترا.

كذلك لأن تركيا على مقربة، فالمسافة لا تبعد سوى ساعتين بالطائرة من ميونيخ، وهي مسافة تغري بالتواصل والسفر المتكرر، كما أن تركيا آخذة في التطور الاقتصادي وذات شواطئ جذابة ومناخ مغر. ولكن هناك أمران هما الفاصلان في ارتباط الأتراك بتركيا وعدم اندماجهم

في بلد المهجر: فبعد انفصام تركيا عن الرابطة الإسلامية ومحاولة الدولة التركية محو كل ارتباط لها بالإسلام، ازداد الشعور القومي التركي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، حتى صار شعار: «إنها لسعادة غامرة أن تستطيع أن تقول أنا تركي» راسخًا في الوجدان، وليس معلقًا على الحوائط فقط. ولم يسلم المسلمون الأتراك من توغل هذا الشعور الشوفيني في نفوسهم. وكان لهذا أثره البالغ، فلم يستطع المهاجرون الأتراك أن ينفصلوا نفسيًا وداخليًا عن موطنهم. ومن ناحية أخرى، ارتبط كونهم مسلمين بكونهم أتراكًا بشكل وثيق.

وكان لهذا أثره في تشكيل مشهد المهاجرين ووضعهم في ألمانيا. وتميز هذا المشهد بنتيجتين، أولاهما: أن عمل المراكز التركية الإسلامية في ألمانيا تركز على الدعوة بين الأتراك والأوساط التركية؛ ولذلك فإن المراكز التركية ليس لها تأثير على محيطها الألماني مقارنة بتأثير المراكز العربية على بيئتها الألمانية المحيطة بها.

والنتيجة الثانية أن الأتراك المسلمين المقيمين في ألمانيا يشاركون في النزعات والمجادلات السياسية الدائرة حول دور الإسلام في وطنهم، حتى بات البعض منهم يظن أنه يجب على تركيا إعادة أسلمتها من خلال ألمانيا.

هناك عوائق أخرى أمام فاعلية المسلمين الأتراك في ألمانيا وتأثير نشاطهم على محيطهم، وهي أن هؤلاء الأتراك منقسمون إلى جماعات عديدة، ترتبط تلك الجماعات بشخصيات مؤسسة ورائدة، مثل ارتباط

حركة نوركولوك Nurculuk بشخص سعيد نورسي (١٨٧٧ ـ ١٩٦٠)، وجماعة سليمانيكلار Suleymaniclar بشخصية سليمان توناهان Suley- man Tunahan، وجماعة IGMT بشخص نجم الدين أربكان. وهناك معلمون متطرفون يدعون لأنفسهم، مثل أحمد هولوسي Ahmed Hulusi. ولكن هذا لا يستبعد أن غالبية المسلمين الأتراك أصبحوا أكثر ارتباطاً ببلاد المهجر منذ عام ١٩٩٩ كرد فعل للنتائج والتطورات في وطنهم، وللتطور الذي شهده قانون الجنسية الألماني، وبالتالي أصبح لهؤلاء تأثير ديني أقوى على محيطهم.

ـ ٢ ـ

ويُعَدُّ سؤال ماذا يريد الإسلام في الغرب صياغة لسؤال: ما شأنه أصلاً بالغرب؟

ويتضمن هذا السؤال اعتقاداً خاطئاً بأن الإسلام ديانة عربية، وبالتالي شرقية، وهي بصفتها هذه لا تصلح لأوروبا وأمريكا. وهذا التجني كثيراً ما يصيب علماء التاريخ الثقافي بالغثيان.

لقد نشأ الإسلام مثله مثل اليهودية والمسيحية في الشرق الأدنى، والكتب المقدسة لهذه الديانات الثلاثة أنزل بالعبرية وبالآرامية وبالعربية. وهي كلها مشتقة من اللغة السامية نفسها. ومثله مثل المسيحية، فقد انتشر الإسلام في أرجاء متفرقة ومساحات واسعة من العالم.

ولذلك،فالمسلمون العرب يمثلون أقلية داخل الأسرة الإسلامية العالمية، مثلهم مثل مسيحيى الشرق الأدنى بالنسبة للمسيحية في العالم

أجمع. ولكننا إذا قارنا الإسلام بالمسيحية من ناحية التاريخ الفكري، لوجدنا أن المسيحية تعد دينًا شرقياً أكثر من الإسلام؛ لأن المسيحية ـ على نقيض الإسلام ـ استوعبت عناصر كثيرة ـ بجانب ميراثها اليهودي ـ الموسوي (نسبة إلى النبي موسى) من الديانات ومدارس الفكر الشرقية مثل الزرادشتية، والمانوية، والمازدكية، والأفلاطونية الجديدة، والغنوصية، والعبادات السرية ـ الرومانية وتأثيرات إيرانية.

ففكرة التجسيد والثالوث، والأسرار الإلهية، والرهبنة والكهنوت، والبخور والقداس، والموقف السلبي من الجنس، كلها موروثات شرقية قديمة.

وإذا تعاملنا مع الإسلام بالمعيار الأساسي للتنوير وهو العقلانية، لأثبت الإسلام أنه مهيأ تمامًا ليتماشى مع التنوير.

الإسلام ـ مقارنة بالمسيحية ـ يخلو من الأسرار والغموض، فالإسلام لا يعرف الذنب الموروث، ولا التجسيد، ولا الثالوث، ولا موت المخلص، ولا رحلة يسوع السماوية ورحلة مريم السماوية، ولا وجود الله متمثلاً في النبيذ والخبز، ولا التخلص من الذنوب عن طريق التعميد، ولكنه يعرف معجزة الوحي القرآني فقط.

وفي آخر الأمر يستطيع الإسلام أن يثبت بالدليل القاطع مساهمته في تطور الحضارة الأوروبية وما توصلت إليه من إنجازات. فتأثيره أعمق وأبلغ من اليهودية، ويكاد يتساوى مع تأثير الحضارة الإغريقية والهلِّينية.

ونحن لسنا بصدد أن نثبت مثل Sigrid Hunke أن شمس الله تسطع على الغرب، ولكنني أدعو القارئ الغربي إلى أن يتذكر أن نظام الأرقام الذي يستخدمه (بما فيه الرقم صفر) أنجزه عالم رياضيات مسلم. وأن الكثير من علم الطب وأغاني التروبادور، وكذلك معرفته لفلسفة أرسطو إنما يرجع الفضل فيها للمسلمين. ذلك، وغيره كثير. وهكذا يصبح الحديث عن أوروبا المسيحية ـ الرومانية وحضارتها الغربية اليهودية المسيحية غير علمي أو موضوعي، وإهانة للمسلمين، وجحود لفضلهم. فالأصح أن نتحدث عن الفكر الإنساني اليهودي، المسيحي، الإسلامي.

ـ٣ـ

إذن فوجود الإسلام وحضوره حقيقة لا نقاش فيها، بل هو كذلك وجود مسوَّغ؛ فالإسلام له كل الحق في الوجود.

ولكن ماذا يريد الإسلام، غير أن يعترف به كدين لأقلية مهاجرة، وأن يكون هناك تسامح ما في هذا الوجود؟ ولكن إذا كان هذا وحده هو هدفه، فإن هذا يُمَدُّ هنا في الغرب بالشيء الكثير؛ لأن الإسلام يرهق حتى الآن قدرة التسامح وتقبل الآخر، ويحمِّلها ما لم تتعود عليه في الغرب، حتى وصل بها إلى أقصى حدود طاقتها؛ لأن هذا الغرب (خصوصاً أوروبا) صار منذ زمن، منطقة لا تعرف إلا انتشار دين واحد ـ على عكس المشهد الديني المتنوع في العالم الإسلامي ـ وبالتالي ليس له الخبرة ممارسة التنوع الديني، وما يتطلبه من تقبل الآخر والتعايش معه.

لقد دارت حروب شديدة بين الكاثوليك والبروتستانت الألمان والتي عرفت بحرب الثلاثين عامًا (١٦١٨ ـ ١٦٤٨)، كبدت هذه الحروب الشعب الألماني خسائر فادحة. ولقد أدت تفصيلات لاهوتية دقيقة من قبيل: هل نقول عند القربان في القداس «إنه جسدي»، أو «إنه يعني جسدي»، إلى الحكم على الناس إما بالموت، وإما بالحياة! ولقد امتدت مظاهر الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت الألمان إلى عهد المستشار أتوفون بسمارك Otto von Bismak في أثناء الحرب الثقافية، حيث كانت أصابع الاتهام موجهة إلى الكاثوليك الألمان بتبعيتهم لروما، وأن الأخيرة هذه تحركهم، فعانى هؤلاء الكاثوليك من اتهامهمه بأنهم «ألمان غير صالحين». ولكن استطاعت الفرقتان في آخر الأمر أن تتصالحا وأن تتعايشا في سلام ووفاق، وليس أدل على ذلك من وجود دور للعبادة لكل منهما، تقف إحداهما مقابل الأخرى.

فما الذي يتوقعه المسلمون هنا من معاملات في ظل هذه المؤشرات، خاصة أنهم أكثر اختلافاً عن غالبية الألمان عما كان عليه الكاثوليك آنذاك؟ كما يعتقد الكثيرون أن المسلمين يتم تحريكهم من مكة.

فهل سنرى يوماً ما مسجد يقف بالقرب من كنيسة كاثوليكية تقابلها كنيسة بروتستانتية؟ هل ينضم الجامع إلى مشهد الكنيستين المختلفتين اللتين تقفان إحداهما قبالة الأخرى رمزًا للتعايش والتوافق؟

هل سيتحقق هذا، أم سيتم نبذ الإسلام كما لو كان جسماً غريباً عن هذا المجتمع؟

هناك أربعة مجالات يظهر فيها اختلاف المسلمين عن الألمان، وهذه الاختلافات تثير ردود فعل أشبه ما تكون بردود الفعل الهستيرية:

١ ـ من السهل التعرف على المسلم من مظهره الخارجي. فهناك ما يميزه مثل: لحية الرجل وغطاء رأس المرأة، والشكل المميز للجنوبيين وذوى الأصول الممتدة إلى الشرق الأدنى، نطق اللغة، بعض المفردات العربية التى يرددها المتحدث في أثناء حديثه (مثل: إن شاء الله، الحمد لله، ما شاء الله، سبحان الله) وملابس غريبة عن أهل هذه البلا، ألمانيا، فغطاء الرأس مثلاً يثير الأعصاب بشكل ملحوظ، مع العلم بأن تعداد السكان الأجانب يبلغ حوالي ٩٪.

٢ ـ الأمر الثاني هو أن المسلمين يثيرون الأعصاب، بل يتلفونها؛ لأنهم لا يتمكنون من أداء شياء بسيطة يأتي بها كل فرد ها، مثل عملية الشراء من السوبر ماركت، فهم يقرؤون كل المكونات المكتوبة على البضائع ليتبينوا خلوها من أي من منتجات الخنزير، كما أنهم يتركون الآيس كريم ـ المقدم لهم في أي مطعم دون أن يمسوه إذا ما تبين لهم أن فاكهة الكريز ـ المحلى بها الأيس كريم ـ قد تشربت بأي نوع من الخمور. كما أنهم أحياناً لا يأكلون سوى السمك؛ لأن اللحم، وحتى لحم الدجاج، من حيوانات لم تذبح وفق شريعتهم، وإذا تمكنوا من ذلك فإنهم يودون تناول الطعام وهم جلوس على الأرض ويتناولونه بالأيدي دون استخدام أدوات المائدة، وإذا ما أخذ فرد في تدخين سيجار وهو بينهم، فإنه يشعر من جراء نظراتهم بتأنيب الضمير.

٣ ـ يصبح هؤلاء المسلمون شديدي الإزعاج وكثيري المتطلبات إذا ما تعلق الأمر بأمر يخص طقوسهم. فمن الواضح أنه من الضروري أن يبدؤوا صلواتهم في الظلام، قبل أن تشرق الشمس، ثم إنهم يكررون هذه الصلاة في أثناء أفضل فترات العمل. كما أنهم يصومون لفترة طويلة جداً في أثناء اليوم في شهر صيامهم، رمضان، وهذا أمر غير معقول.

وبالنسبة لحجهم، فهو محدد بفترة زمنية تتحرك خلال أشهر العام، فيفكرون في إجازاتهم في هذا الوقت دون مراعاة الإجازة المحددة من قبل العمل.

كذلك يودون بناء مساجد ذات قباب في مقاطعة بافاريا، هذه المقاطعة التي لم تشهد من قبل ولم تعرف في تاريخها مثل هذا الطراز من المباني. وكذلك يودون بناء مساجدهم وبها منارات؛ لينادوا منها على الصلاة. ويطلبون بجرأة أن يقوموا بتدريس مادة الدين بأنفسهم في المدارس.

وبالنسبة للمقابر، فهم يطالبون ببناء قبور تتجه إلى مكة، ولكنهم يبخلون على موتاهم بتابوت فيدفنوهم في هذه المقابر بلا توابيت.

٤ ـ وأخيراً فهم يرفضون كل ما يؤمن به أي مسيحي، ويتمسكون في كل شيء وبأي شيء جاء في قرآنهم، وبما تمليه عليهم تقاليدهم. كما لو أن الاثنين ـ القرآن والتقاليد ـ ليسا قديمين قدم الأزل حتى إن الزمان قد عفا عليهما. فلنتذكر فقط موقفهم من المرأة.

كفانا سخرية، فهناك بالفعل مشكلات كثيرة تواجه التعايش السلمي بين الثقافات المختلفة والمتعددة في هذه النقاط والمجالات الأربعة، وهي المظهر الخارجي، وعادات تناول الطعام، والطقوس، والعقيدة.

ولكن لا ينبغي معالجة هذه المشكلات بالتشابه والتماثل مع الحضارة الغربية والاندماج فيها بحيث تختفي هذه الاختلافات وبالتالي المشكلات الناتجة عنها؛ لأن هذا سيلغي اختلاف المسلمين، وسيكون لهذا نتائجه السلبية لكلا الطرفين.. فالمسلمون ينظرون إلى الإسلام وبالتالي إلى أنفسهم كبديل للحياة الغربية ونمطها المنتشر والأفكار التي تحكم هذا النمط.. ولكن لابد أن يعبر هذا عن نفسه.

ولكن هذا لا يعفي المسلمين من محاولة تقليل حيز الاختلافات والبعد عن النقاط التى تثير النزاعات، عن طريق التفرقة بين الجوهري في الإسلام، أي الدين، وبين الموروث والتقاليد التي هي إحدى مكونات الحضارة الإسلامية، وبالتالي هي مجرد موروث ثقافي، حتى وإن علت قيمته. وأعتقد أن المسلمين يستطيعون أن يتغاضوا عن هذه الموروثات (ليس الجوهري في الدين) في سبيل تمايش سلمي واندماج أفضل، وليس ذوباناً أو تجانساً. ومن ضمن الموروثات طريقة الملبس، وتناول الطعام، فالمسلمون غير مجبرين على تناول الطعام كما كان العرب يتناولون طعامهم في القرن السابع.

فيمكنهم ارتداء رابطة العنق، والجلوس إلى مائدة لتناول الطعام واستخدام أدوات المائدة، وأن يقوموا بتنظيف أسنانهم بالفرشاة والمعجون بدلاً من السواك.

كان ينبغي ـ في حقيقة الأمر ـ أن يكون المجتمع الغربي من القوة بحيث يتقبل المكونات الفولكلورية للحضارة الإسلامية دون إبداء أي تحفظات، ولكن بما أن هذا الأمر لم يتحقق بعد، فأعتقد أن مصلحة المسلمين في الغرب تستدعي أن يقوم المسلمون بالتغاضي عن الممكن؛ ليسهلوا أمر تقبل الغرب لهم.

وهذا لا ينطبق بالطبع على المجالات التي لا تخضع للنقاش أو المساومة، مثل: العقيدة، والأخلاق، والعبادات وما تنص عليه الشريعة. ما عدا ذلك فهو من الممكن.

لذلك، فمن غير الضروري أن يختبر المسلمون استعداد الغرب لتقبلهم، وأن يتمادوا في ذلك إلى أقصى الحدود من خلال إصرارهم على مطابقة الإسلام للعروبة. فعلى المسلمين أن يدركوا تماماً أن الانتشار السريع للإسلام الذي تشهده أوروبا ـ والذي وصل إلى السويد وفنلندا ـ قد خلق صدمة شديدة وخوفاً أشد من المستقبل عند أناس راسخي الجذور الثقافية، غير مؤهلين لتقبل ثقافات أخرى بسهولة.

ـ ٤ ـ

وبالرغم من استعداد المسلمين لحلول وسط حتى يتحقق التعايش السلمي، فهناك مؤشرات واضحة على أن الالتقاء الأوربي الإسلامي سيشهد نهاية سلبية.

ويؤكد هذا أن معرفة الغرب بالإسلام والتعاطف معه لم يزدادا في الثلاثين عاماً الماضية بشكل ملحوظ. بل إننا نتوقع حدوث العكس،

Obeikandi.com

خاصة بسبب التأثير السلبي لوسائل الإعلام. ولقد انتشرت بعض الحركات المعارضة للإسلام بصور فردية بين الإيفانجيليين.

ولقد عبر مسلم ألماني عن هذا الوضع منذ فترة قصيرة، حيث قال: «إنني كلما اندمجت بشكل أعمق في الجماعة الإسلامية، يتم انتزاعي أو طردي من المجتمع الألماني». ويضيف: «لقد تعلمت أن بعض الألمان لا ينظرون إلى الدستور على أنه ركيزة أساسية للتعايش الديني والثقافي». وانطباعه الشخصي هذا ليس خادعاً، فبناءً على استبيان تم في إبريل عام ١٩٩٧ يرى نصف تعداد الشعب الألماني فقط أن للمسلمين الحقوق نفسها التي يتمتعون هم بها، وقدر ٣٠٪ من الذين شملهم الاستبيان أن المسلمين الذين يعيشون فى ألمانيا ـ وليس صدام حسين ـ إنما يشكلون خطراً جسيماً.

أما أكثر الأشياء البغيضة التي تتم الآن في أوروبا فهي المحاولات المؤكدة والمُسجلة لتحميل العمال الأجانب من المسلمين مسؤولية مشكلة البطالة التي تعاني منه بلاد أوروبا؛ لأن هذا الأمر سيؤدي إلى وجود مشاعر دفينة بغيضة؛ لأن القلب الاجتماعي والاحتياج المادي مجتمعان مع وجود أحكام مسبقة ذات طبيعة دينية وعنصرية تؤدي دوماً إلى خليط من المشاعر الكريهة، وهناك دائماً من يتصيد ويتحين الفرص لإطلاق هذه المشاعر من عقالها. فهل ستراجع الاقتصاديات الغربية العولمة وما تتبعها من ضغوط، أم لا؟

وتزداد الصورة قتامة عندما يلاحظ المرء أن المسلمين في الغرب يتحملون بثبات كل ما يحدث في العالم الإسلامي. وسرعان ما يحولهم الغربيون إلى كبش فداء لكل الأحداث المفزعة، مثل إلقاء قنبلة على قرية كردية في العراق، ومثل حادثة لوكربي أو مجزرة الجزائر (بغض النظر عمن قام بهذه المجزرة)، أو أي اغتيال لمفكر إيراني، أو إلقاء قنبلة يدوية على سائح غربي في مصر. أي حوادث من هذا النوع يحملها الغرب لكل مسلم شخصياً.

وهناك ضرر بالغ يلحق بمستقبل الإسلام في ألمانيا، وهو متمثل في النشاط الذي يمارسه بعض الأفراد الذين استوطنوا ألمانيا من القادمين من العالم العربي، خاصة هؤلاء ممن لهم مكانة مرموقة وكذلك خلفية ليبرالية أو ماركسية. هؤلاء المسلمون الثقافيون يستغلون المصداقية التي يحظون بها في وسائل الإعلام للدعاية لما يسمي بالـ «Euro - Islam». اليورو إسلام (قليل من الإسلام وكثير من الأوروبي).

وهؤلاء يجعلون المسلمين النشيطين يظهرون بمظهر المتطرفين.

هذا الأمر يؤدي دوماً إلى أسئلة من هذا القبيل: لماذا لا تستطيعون أن تكونوا مثل هؤلاء المثقفين؟ فهم لا يريدون بناء مساجد، ولا يحجون، ولا يصلون دوماً، كما أنهم يتناولون الخمر ويسمحون لنسائهم بالخروج مكشوفات الأذرع. أوليسوا هم الآخرون مسلمين؟

ومن الجدير بالذكر أنه من الملاحظ أن أسلوب الحياة الغربية بإغراءاته العديدة سينجح فيما فشل فيه المبشرون المسيحيون في

Obeikandi.com

إفريقية الشمالية برغم عملهم الدائم لعقود طويلة، ألا وهو تغريب شباب المسلمين عن دينهم، وإقناعهم بأن هذه الديانة إنما هي سبب تخلفهم.

وأخيراً، فأنا لا أريد أن أسكت عن الاتهام الموجه مني إلى المسلمين. فعلى المسلمين أولاً أن يقوموا باللحاق بما فاتهم من عملية التنوير والإصلاح الإسلامية، فبدون ذلك تقل فرص الإسلام؛ إذ يظهر على أنه حضارة متخلفة غير متطورة.

ولا يساعد في هذا الأمر كثيراً أن نكرر دومًا أن الإسلام كدين لا يحتاج إلى هذه الإصلاحات؛ لأنه لا يحمل عداءً للعلم، كما أنه لا يعرف الكهنوت ولا سلطة رجال الدين، وبالتالي ليس هناك في الإسلام أشياء ينبغي القضاء عليها مثل تلك الأشياء والعناصر التي أدت إلى حدوث ظواهر في الغرب مثل: حرق الكتب، وحرق الساحرات، ومحاكم التفتيش ومحاكمات علماء مثل: جاليليو وجيوردانو برونو.

يقلل سلوك المسلمين في الغرب ـ للأسف ـ من فرص تقبل هذا الغرب لهم وله.

ويعود هذا إلى تفرقهم وتشرذمهم، فإنك دائماً وأبداً تجد منظمات متصارعة واتحادات تحكمها العلاقات الإثنية. فالصراعات الفردية تعوق استعداد المسلمين للعمل الجماعي، ويضاف إلى ذلك اتجاه ـ يمارسه المسلمون الأقل تعليماً وثقافة ـ يعني بالأشياء غير الأساسية والجوهرية. يمارس هذا الاتجاه التراشق بالألفاظ والتفسيرات المختلفة للقرآن

وأحاديث الرسول، ويركز مجهوداته في الكشف عن العناصر التي تجعل الإسلام يبدو وكأنه دين يعادي الحياة ويعارض المتع كافة.

وتضيع في خضم هذه المهاترات روحانية الدين.

وهناك أمر محزن، هو أنه في كثير من الأحيان يفشل اعتناق فرد للإسلام، ليس بسبب مسائل لاهوتية معقدة مثل الثالوث، ولكن بسبب أشياء تافهة جداً، مثل طريقة تناول الطعام، أو انطباع أن المرأة لا تحظى بحقوقها في الإسلام، فالرجل الذي يرفض مصافحة امرأة ـ قد تكون شغوفة وذات اهتمام بالإسلام ـ باليد مصافحة بريئة، إنما يفزعها من دين الله ولا يصدها عن نفسه فقط بل عن الإسلام كذلك.

وهناك أسباب كثيرة خلقها المسلمون بأنفسهم، خاصة ما سبق ذكره من الثغرة النظرية، وعدم التوصل إلى شكل معترف به لنظام الحكم، وكمسألة حقوق الإنسان، ونظام ونموذج اقتصادي، ووضع المرأة.

إنه لأمر محزن أن يرتبك المسلم عندما يسأل عن دولة إسلامية نموذجية موجودة بالفعل. ولكن ما يريك أكثر من السؤال هو حقيقة أن هذا هو الأمر الواقع فعلاً؛ ولذلك فلا بد أن يتم تغيير ما؟

obeikandl.com